

تفسير البحر المحيط

@ 468 @ الراء وهو يجمع الأنوار ، فيكون خص القمر بالذكر تشريفاً . وقرأ الأعمش أيضاً والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء . وقرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم { * وقُمِر } بضم القاء وسكون الميم فالظاهر أنه لغة في القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب . وقيل : جمع قمراء أي ليلة قمراء كأنه قال : وذا قمر منير لأن الليلة تكون قمراء بالقمر ، فأضافه إليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان : .

بردى يصفق بالرحيق السلسل .

يريد ماء بردى . فمنيحاً وصف لذلك المحذوف كما قال يصفق بالياء من تحت ، ولو لم يراع المضاف لقال : تصفق بالتاء وقال { وَقَمَرَاءٌ مِّنْ نَّجِيرٍ } أي مضيئاً ولم يجعله { سِرَاجاً } كالشمس لأنه لا توقد له . .

وانتصب { خِلْفَةً } على الحال . فقليل : هو مصدر خلف خلفه . وقيل : هو اسم هيئة كالركبة ووقع حالاً اسم الهيئة في قولهم : مررت بماء قعدة رجل ، وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر . والمعنى جعلهما ذوي خلفه أي ذوي عقبه يعقب هذا ذاك وذاك هذا ، ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله { وَآخِذُواْ بِالْأَفْئِدَةِ } والآخِذَةُ الْإِدْلُ وَالنَّهَارُ { ويقال : بفلان خلفه واختلاف إذا اختلف كثيراً إلى متبرزه ومن هذا المعنى قول زهير : .

بها العيس والآرام يمشين خلفه .

وقول الآخر .

يصف امرأة تنتقل من منزل في الشتاء إلى منزل في الصيف دأباً : % (ولها بالما طرون إذا % .

أكل النمل الذي جمعا .

(% (خلفه حتى إذا ارتفعت % .

سكنت من جلق بيعا .

(% (في بيوت وسط دسكرة % .

حولها الزيتون قد ينعا .

% (.

وقيل { خِلْفَةً } في الزيادة والنقصان . وقال مجاهد وقتادة والكسائي : هذا أسود وهذا

أبيض وهذا طويل وهذا قصير . { لَّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَرَ } . قال عمر وابن عباس
والحسن : معناه { لَّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَرَ } ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في
أحدهما فيستدركه في الذي يليه . وقال مجاهد وغيره : أي يعتبر بالمصنوعات ويشكر □
تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم . وقال الزمخشري : وعن أبي بن كعب يتذكر
والمعنى . لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال وتغيرهما
من نافل ومغير ، ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة من السكون بالليل
والتصرف بالنهار كما قال تعالى : { وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } وليكونا وقتين
للمتذكر والشاكر من فاته في أحدهما ورده من العبادة أتى به في الآخر . وقرأ النخعي وابن
وثاب وزيد بن عليّ وطلحة وحمزة تذكر مضارع ذكر خفيفاً . .
ولما تقدم ذكر الكفار ودمهم جاء { لَّمَّاء * أَرَادَ أَنْ يَذَّكَرَ } أَوْ أَرَادَ
شُكُوراً { ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين الشاكرين فقال : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ }
وهذه إضافة تشريف وتفضل ، وهو جمع عبد . وقال ابن بحر : جمع عابد كصاحب وصحاب ، وتاجر
وتجار ، وراجل ورجال ، أي الذين يعبدونه حق عبادته .